أنه قال: كنت أجالس «بريرة» بالمدينة فكانت تقول لي: يا عبد الملك! إني أرى فيك خصالاً وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليته فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق)[1].

السيدة البَغُوم بنت المَعدَّل الكنانية رضي الله عنها

نسبها: اسمها «البغوم» وأبوها يدعى «المُعَدَّل» وزوجها «صفوان بن أمية ابن خلف الجمحي»، واسم «المُعَدَّل» خالد بن عمر بن سفيان، وأشرب قلب «صفوان» معاداة الإسلام، وكان حموها «أمية بن خلف» من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وللمسلمين، وقد أذاق «بلالاً» مؤذن رسول الله ﷺ ألوان العذاب، فمكنه الله منه يوم بدر، فنادى «بلال» بعض الصحابة، فأعانوه على قتله وقتل ابنه «علي» معه. وبعد بدر لقي «صفوان» صديقه «عمير بن وهب» فقال «عمير» لولا عيالي ودين علي لقتلت «محمداً». فوعده «صفوان» أن يحمل عنه دينه ويضم عياله إلى عياله، وخرج «عمير» إلى المدينة، فأسلم، ثم أخذ لصفوان الأمان من رسول الله ﷺ، واشترى «صفوان» نفسه من النار فأسلم، ويوم الفتح - فتح مكة - كانت «البغوم» مع بعض النسوة يعلن إسلامهن بين يدي رسول الله ﷺ ويبايعنه، رحمها الله تعالى.

السيدة تُمَاضِرُ بنت الأصبغ رضي الله عنها

اسمها «تُمَاضِر» وأبوها «الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة» كان ملكاً على بني كلب. وقيل: هي «تُمَاضِر بنت رباب بن الأصبغ» قاله ابن حجر في الإصابة[2].

(1) أسد الغابة (5/ 229) والإصابة (4/ 252).
(2) الإصابة (4/ 255).

لماأراد رسول الله ﷺ أن يرسل بعثاً إلى «دومة الجندل» دعا «عبد الرحمٰن بن عوف» فعممه بيده الشريفة، وأسدل العمامة على كتفيه، وأمره بالخروج إلى بني كلب، وأذن له إن فتح الله عليه أن يتزوج ابنة ملكهم «تُمَاضِر» . «عبد الرحمٰن» أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وهو الرجل الصالح المذكور في حديث النبي ﷺ: (ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته)، فقد أمَّ «عبد الرحمٰن» الناس فلما صلَّى بهم ركعة أتى رسول الله ﷺ فصلى خلفه، فلما سلَّم «عبد الرحمٰن» من صلاته، قام النبي ﷺ فأتم صلاته.

ودعا «عبد الرحمٰن» بني كلب إلى الإسلام، فاستجاب منهم ناس، وأقام بعضهم على إعطاء الجزية، وتزوج «عبد الرحمٰن» ابنة ملكهم «تُمَاضِر» وقدم بها المدينة، فولدت له «أبا سلمة بن عبد الرحمٰن» ولم تَلِدْ له سواه.

وقد أخرج ابن حجر في الإصابة: [وقال محمد بن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده [قال: كان في «تُمَاضِر» سوء خلق، وكانت على تطليقتين فلما مرض «عبد الرحمٰن» جرى بينه وبينها شيء، فقال لها: والله لئن سألتني الطلاق لأطلقَنَّك، فقالت: والله لأسألَنَّكَ، فقال: أما لا فأعلميني إذا حضت وطهرت، فلما حاضت وطهرت أرسلت إليه تعلمه، قال: فمر رسولها ببعض أهله، فقال: أين تذهب؟ قال: أرسلتني «تُمَاضِر» إلى «عبد الرحمٰن» أعلمه أنها قد حاضت، ثم طهرت، قال: ارجع إليها فقل لها: لا تفعلي، فوالله ما كان ليرد قسمه، فقالت: أنا والله، لا أردُّ قسمي، قال: فأعلمه، فطلقها][1]، ومتعها بجارية سوداء، وعن نافع وسعد بن إبراهيم أنه طلقها ثلاثاً فورثها «عثمان» منه بعد انقضاء العدة. رحمها الله تعالى.

(1) الإصابة (4/ 255-256).

السيدة تُمَاضِر بنت عمرو بن الشريد الخنساء رضي الله عنها

هل أتاك حديث الخنساء أم الأربعة الشهداء، والشاعرة المجيدة العصماء، والمتفوقة على الشواعر من النساء، والتي أعجب بشعرها خاتم الأنبياء؟ إنها «تُمَاضِر بنت عمرو بن الشريد» الشاعرة السلمية.

نسبها: ذكر أبو عمر بن عبد البر في استيعابه أباها فقال: [وهو «الشريد ابن رباح بن ثعلبة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم][1]. لها مناقب وخصال، تخلف عن بعضها النساء والرجال. وكانت ذات جمال ساحر، وذكاء نادر، ووفاء وإخلاص، ومروءة وشجاعة، وشهامة وفصاحة. عاشت بعض حياتها في الجاهلية، فتخلقت بأخلاقها، وتأثرت بعاداتها وتقاليدها، وكانت في بداية قرضها للشعر تقول البيتين والثلاثة، حتى قتل أخوها لأبويها «معاوية بن عمرو» قتله «هاشم» و«زيد» المُرِّيان، و«صخر بن عمرو» أخوها لأبيها. وأحب أخويها إليها لأنه كان حليماً جواداً محبوباً في قومه وعشيرته، وكان «صخر» قد غزا بني أسد فطعنه «أبو ثور الأسدي» فمرض من جراحته قريباً من الحول، ثم مات، وهَيَّج مقتل أخويها قريحتها، وأطلق لسانها برثائهما. وذكر ابن حجر في الإصابة، قال: [وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها][2]. وذكر ذلك أبو عمر في الاستيعاب[3]. ومن شعرها في رثاء أخيها «صخر» قولها:

أعينيَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندَّى

(1) الاستيعاب (4/ 1827).
(2) الإصابة (4/ 288).
(3) الاستيعاب (4/ 1827).

ألا تبكيان الجريء الجميلَ ... ألا تبكيان الفتى السَيِّدَا
طويل النجاد رفيع العما ... دِ ساد عَشِيرَته أمردا
إذا القوم مدوا بِأَيْدِيهِم ... إلى الْمَجْدِ مد إِلَيه الْيَدَا
فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم مضى مُصْعِدا
يحمِّله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل المجد أن يحمدا
وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزَّر بالمجد ثم ارتدى
غياث العشيرة إن أمحلوا ... يُهين التّلاد ويحيي الجَدَا

وقالت فيه:

وإن صخراً لمولانا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لَنَحَّار
أشم أبلج يأتمُّ الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

ورثت «معاوية» فقالت:

ألا لا أرى في الناس مثل معاويهْ ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيهْ
بداهيةٍ يصغى الكلاب حَسِيسَها ... وتخرج من سر النجيِّ علانيهْ
وكان لزاز الحرب عند نشوبها ... إذا شمَّرت عن ساقها وهي ذاكيهْ
وقوَّاد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانيهْ
بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هِيَهْ
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي ... عليك بحزن ما دعا الله داعيهْ

إنها زفرات قلب مفجوع، عصرته المصيبة، فراح يقطر هذه القطرات، وينفث هذه النفثات، ولما طلبوا إليها وصف أخويها، قالت: كان «صخر» والله جُنَّة الزمان الأغبر، وذُعاق الخميس الأحمر، وكان «معاوية» والله القائل الفاعل.

قيل لها: فأيُّهما كان أسنى وأفخر؟ قالت: أما «صخر» فحَرُّ الشتاء، وأما «معاوية» فبرد الهواء.

قيل لها: فأيُّهما أفجع وأوجع؟ قالت: أما«صخر» فجمر الكبد، وأما «معاوية» فسقام الجسد، ثم أنشدت:

أسدان محمرًّا المخالب نجدةً بحران في الزمن الغضوب الأنْمَر
قمران في النادي رفيعا مَحْتِدٍ في المجد فَرْعا سؤدد متخيَّر

بيد أن أفضل أقوالها في أخيها «صخر» هو:

يؤرقني التذكر حين أمسي فأصبح قد بليتُ بفرط نُكْسِ
على صخر وأي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خَلسِ
وضيف طارق أو مستجير يُرَوَّع قلبه من كل جَرْس
ولم أر مثله رزءاً لِجنٍّ ولم أر مثله رزءاً لإنس
أشد على صروف الدهر منه وأفضل في الخطوب لكل لبسِ
ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويُشَعَّر رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا أزال أرى عَجُولاً يساعد نائماً في يوم نحسِ
وما يبكين مثل أخي ولكن أسَلِّي النفس عنه بالتأسي
فقد ودعتُ يوم فراق صخرٍ أبي حانَ لذَّاتي وأُنسيِ

أبيات تظهر الحب العارم الذي أكنَّته «الخنساء» لأخيها «صخر» حتى صرحت باستعدادها لقتل نفسها، إنها قناعة أهل الجاهلية التي يأباها الإسلام، وسنرى كيف غيَّر الإسلام هذه القناعة. ولم يكن حب «الخنساء» لأخيها «صخر» من جانب واحد، لكن«صخراً» كان يبادلها حباً بحب، ووفاءً بوفاء، وإخلاصاً بإخلاص.

زواجها: كانت المناقب الجمة التي تملكها «الخنساء» باعثاً على جعلها محط أنظار الرجال، والرغبة في الزواج منها، وروي أن الشاعر الفارس «دريد بن الصمة» مَرَّ يوماً بديار بني سُلَيْم قوم «الخنساء» فرآها على

ماء، وهي تَهْنَأُ بعيراً لها أي: تطليه بالقطران، فوقف يرقبها، ولما فرغت، خلعت ثيابها واغتسلت، فأعجب بمحاسنها، فقال فيها:

حيوا تُماضِر واربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه نَبْلٌ من الحب

ثم أتى أباها يخطبها، فرحب به، واستمهله حتى يؤامرها، ولما دخل عليها أبوها قال لها: يا خنساء! أتاك فارس هوازن، وسيد بني جُشَم «دريد ابن الصمة» يخطبك، وهو ممن تعلمين.

فقالت: يا أبت! أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح، وناكحة شيخ بني جشم؟ فخرج أبوها إلى «دريد» وأخبره برفضها له. ثم تزوجت «رواحة ابن عبد العزيز» وأنجبت له أربعة أشبال، لا يقدر أحدهم بمال، فكانوا سادة قومهم في الجاهلية.

إسلام الخنساء وبنيها: وفي عام الوفود، خرج وفد بني سُلَيْم، قوم «الخنساء» إلى المدينة، وكانت «الخنساء» وبنوها الأربعة في عداد الوفد، وأسلموا جميعاً مع أمهم بين يدي رسول الله ﷺ. وأنشدت «الخنساء» للنبي ﷺ بعض شعرها، فأعجبه وكان يستزيدها بقوله: (هيه، يا خناس!) أو يوميء لها بيده، وكان إسلامهم سنة ثمان للهجرة، ودخلت مرة على «عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» بعد إسلامها، وعليها صدار من شَعَر، فقالت لها أم المؤمنين: ما هذا يا خنساء؟ فوالله لقد توفي رسول الله ﷺ فما لَبِسْتُه، قالت: إن له معنى دعاني إلى لُبْسِه، فقد زوجني أبي سيد قومه، وكان رجلاً متلافاً - مبذراً للمال - فأسرف في ماله حتى أنفذه، ثم رجع إلى مالي فأنفذه أيضاً، فأتيت «صخراً» فقسم ماله شطرين، فأعطاني أحسنهما، ثم إن زوجي أتلفه، فعدت إلى «صخر» فشطر ماله، ثم خيَّرني بين الشطرين، فقالت له امرأته: أما ترضى أن تشاطرها مالك حتى تخيرها بين الشطرين؟ فقال:

والله لا أمنحها شرارها فلو هلكتُ قدَّدت خمارها
واتخذت من شَعَرٍ صدارها

فأليت ألَّا يفارق الصدار جسدي ما بقيت! لقد كان «صخر» مسرفاً في عطائه حين شاطرها ماله مرتين، أفلا تبادله بسرف ماله سرفاً من دموعها ما دامت مآقيها تستجيب؟.

وسألها «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه : ما أقرح مآقِيَكِ؟.

فقالت: بكائي على السادات من مُضر، فقال : يا خنساء! إنهم في النار، فقالت: ذلك أطول لعويلي عليهم، كنت أبكي صخراً على الحياة، فأنا اليوم أبكي له من النار.

رأي جرير في شعرها: سئل «جرير» الشاعر: من أشعر الناس؟ فقال: أنا لولا «الخنساء»، قيل له: بم فضَّلتها؟ قال: بقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنباً واستؤصل الراسُ
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسُدان ولكن يفسُد الناسُ

ورأي «جرير» ذو بال، فإن الدينار الزائف لا يكشفه إلا الصّرَّافون.

القادسية والخنساء: لما دعا داعي الجهاد لخروج المسلمين إلى القادسية لقتال الفرس، دفعت بأشبالها الأربعة لأداء واجبهم، وقبل أن يتحركوا، قالت لهم : «أيْ بَنِيَّ! إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إلّه إلا هُو، إنكم بنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ أباكم، ولا فضحتُ خالكم، ولا هجَّنتُ حَسَبكم، ولا غيَّرتُ نَسَبَكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: 200] . فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها، واضطرمت لَظَى على سياقها، وجَلَّلت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام

خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة». ولما ابتدأ القتال، برز أول الأشبال، وقال:

يا إخوتي إن العجوز الناصحَهْ قد نصحتنا إذ دعتنا البارحَهْ
بقولةٍ ذات بيان واضحَهْ وإنما تَلْقون عند الصابَحهْ
من آل ساسانٍ كلاباً نابَحَهْ قد أيقنوا منكم بوقع الجائحهْ
وأنتُم بين حياة صالحَهْ أو ميتة تورث غُنْماً رابِحَهْ

وقاتل حتى سقط شهيداً، ثم تقدم الثاني، وقال:

إن العجوز ذات حَزْمٍ وجَلَدْ والنظر الأوفق والرأي السَّدَدْ
قد أمرتنا بالسَّداد والرشَدْ نصيحة منها وبِرًّا بالولَدْ
فبادروا الحرب حُماةً في العَدَدْ إما لفوزٍ بارد على الكبِدْ
أو ميتة تُورثكم عزَّ الأبَدْ في جنة الفردوس والعيش الرغَدْ

وقاتل حتى سقط شهيداً، ثم تقدم الثالث، وقال:

والله لا نعصي العجوز حَرْفَا قد أمرتنا حَدَباً وعطفَا
نصحاً وبِراً صادقاً ولُطفا فبادروا الحرب الضروس زحْفَا
حتى تلُفُّوا آل كسرى لَفَّا أو يكشفوكم عن حماكم كَشْفَا
إنا نرى التقصيرَ منكم ضَعْفَا والقتل فيكم نجدة وزُلْفَى

وقاتل حتى سقط شهيداً، ثم تقدم الرابع، وقال:

لست لخنساءٍ ولا للأقرمِ ولا لعمرو ذي الثناء الأقدمِ
إن لم أَرِدْ في ذا الخميس الأعجمِ ماضٍ على الهول خِضَمّ خِضْرِمِ
إما لفوزٍ عاجلٍ ومغنَمِ أو لوفاة في السبيل الأكرمِ

وقاتل حتى سقط شهيداً، وخرجت اللبؤة إلى ساحة القتال، لتنظر ما صنع الأشبال، فقيل لها: لقد سبقوك إلى جنة الكبير المتعال، فلم تهدد بالانتحار، ولم تَعِدْ بلُبْس الصدار، لأن الإسلام خلع عنها تلك الخلائق الفاسدة، ووجَّه عقلها وفكرها إلى سواء الصراط، فقالت: (الحمد لله

الذي شرفني بموتهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته). وعزَّاها «عمر» بأشبالها، وربَّى لها أعطياتهم، حتى لقي ربه. وفي خلافة «عثمان» فاض حنينها إلى الأشبال فشدت إليهم الرحال.

رحمها الله تعالى.

السيدة تميمة بنت وَهْب رضي الله عنها

أخرج ابن الأثير في «أسد الغابة» عن محمد بن إسحاق، عن هشام، عن أبيه، قال: كانت امرأة من بني قريظة يقال لها: «تميمة» تحت عبد الرحمٰن ابن الزَّبير»، فطلقها، فتزوجها «رفاعة» ثم فارقها، فأرادت أن ترجع إلى «عبد الرحمٰن» فقالت: يا رسول الله! والله ما معه إلا مثل هُدْبَة الثوب، فقال: (لا ترجعي إلى «عبد الرحمٰن» حتى يذوق عسيلتك رجل غيره).

وسماها كذلك «قتادة» أيضاً.

روى عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد، عن قتادة: أن «تميمة بنت أبي عُبَيد القرظية» كانت تحت «رفاعة» أو «رافع القرظي» فطلقها، فخلف عليها «عبد الرحمٰن بن الزَّبير»، فأتت النبي ﷺ، فقالت: ما معه إلا مثل الهُدْبَة، فقال: (لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك)[1].

رحمها الله تعالى.

السيدة ثبيتة بنت الضحاك رضي الله عنها

ولدت على عهد رسول الله ﷺ، أبوها «الضحاك بن خليفة» وهي أخت «أبي جُبَيرة بن الضحاك بن خليفة» و «ثابت بن الضحاك بن خليفة» الأنصاري الأشهلي، هكذا هو عند أكثرهم بالثاء.

---

(1) أسد الغابة (5/ 232-233).